الشكـل الخارجى للموشحة

- ٢ -

تعـريف

الموشح قصيدة شعرية ، وتعـد أحد الأجناس الأدبيـة المستقلة التى تنتمى للشعر العربى الغنائى . وقد اخترع هذا الجنس الادبى «فى صورته التى وصل الينا بها – أهل الاندلس .

وقد حد (عرف) ابن سناء الملك المصرى الموشحة بهذه الكلمات : «الموشح كلام منظوم على وزن مخصوص . وهو يتألف فى الأكثر من ستة أقفـال وخمسة أبيات ، ويقال له التـام ، وفى الأقل من خمسة أقفـال وخمسة أبيات ويقال لـه الاقرع . فالتام ما ابتدىء فيه بالاقفال ، والاقرع ما ابتدىء فيه بالأبيات (١) » .

وهذا التعريف ملىء بالمصطلحات التى تحتـاج الى تعريف ، فهو يشيـر الى «وزن مخصوص» ، فمـا هو الوزن المخصوص للموشح ؟ ويتحدث عن أقفـال وأبيات ، فما هى ؟ ثم موشح أقرع وتام ، فماذا يعنى ذلك ؟ التعريف غامض ! وحتى نفض غموضه نحاول الاجابة على هذه الأسئلة بالتدريج فيما يلى .

علينا أن نستبـدل بهذا التعريف تعريفا آخر يفتح لنـا الطريق نحو اجابـة الأسئلـة . وينبغى صيـاغة التعريف المقتـرح بكلمـات معاصرة وخاليـة من المصطلحات قبـل كل شىء . لنحـاول ذلك : «الموشح قصيدة شعرية غنـائية مقطوعية ؛ أى تتشكل من مقطوعات مستقلة تتوالى واحدة وراء الأخرى رأسيا من أول القصيدة الى آخرها ، وكل مقطوعة تتشكل من قسمين يختلفان فى نظام القوافى ، وقد يختلفان فى الوزن أيضا ، فالمقطوعة الواحدة بها نظامان للقوافى داخل كل قسم ، وقـد يتحد القسمان فى البحر العروضى وقد يستقل كـل قسم منهما ببحر» . هذا التعريف من اقتراحنا ، وهو حتى الآن يستوعب تعريف ابن

---

(١) ابن سناء ، الملك دار الطـراز فى عمل الموشحات (تحقيق : جـودة الركابى) ، دمشق ، ١٩٤٩ ص ٢٥ .

سناء الملك الذى لم يكتمل بعد ، فهو فى اتمام لما بدأ يعطينا مثالا للموشح التام ومثـالا آخر للموشح الأقرع دون مزيد من الشرح ، ثم يقول : «والأقفـال هى أجزاء مؤلفة يلزم أن يكون كل قفل منها متفقا مع بقيتها فى وزنها وقوافيها وعدد أجزائها ، والأبيات هى أجزاء مؤلفة أو مركبة يلزم فى كل بيت أن يكون متفقا مع بقية أبيات الموشح فى وزنها وعدد أجزائها لا فى قوافيها ، بـل يحسن أن تكون قوافى كل بيت منها مخالفة لقوافى البيت الآخر (١) .

وهذا يعنى أن القسم الاول من المقطوعة اسمه «بيت» ، والقسم الثانى اسمه قفل . وأن مجموعهما فى تتـال رأسى هو واحدة من المقطوعات المتتـالية التى تتشكل منها الموشحة . وحتى نفهم ذلك نورد موشحة كاملة لابن رافع رأسه (٢) .

مقطـوعـة (واحد)

١ الـراح والـرضاب مـا فيـهمـا حـرج
٢ الا لـكـل بـدع عـن ديـننـا خـرج

قفـل (صفر)

٣ طـوبى لـمـن تـروى مـن ذا وهـذه
٤ مـع من يميس زهوا فـى ثـوب لاذه
٥ والقـلب منى يهـوى سـر الـتـذاذه

بيت (واحد)

٦ مـراشـف عـذاب من ثـغـر ذى فلـج
٧ فيهـا دمـى ودمعى هـذا بـذا مـزج

قفـل (واحد)

مقطـوعـة (٢)

٨ يـا حسن كـل حسن اليـأس بـى أسـا

---

(١) نفسه ص ٢٥ – ٢٦ .
(٢) ديوان الموشحات ، ٢ م (تحقيق : سيد غازى) ، منشاة المعارف ، الاسكندرية ، ١٩٧٩ ج ١ ص ١٣ وما بعدها .

٩ يا جنتى وعدنى عدنى وقل عسى
١٠ أن تلتقى بجفنى وردا ونرجسا

بيت (٢)

١١ تحميهما عضاب سلت من الدعج
١٢ وعقرب للسع دبت من السبج

قفل (٢)

مقطوعة (٣)

١٣ قد حارت الرياض فى روض خده
١٤ أجفانه مراض بأمر أسده
١٥ صعب فما يراض من طول صده

بيت (٣)

١٦ ما طاعت الصعاب الا عصا ولج
١٧ فى عزة ومنع ليتلف المهج

قفل (٣)

مقطوعة (٤)

١٨ كم قلت والعذول لو كان يسمع
١٩ حسبى أنا الملول أرضى وأقنع
٢٠ لكن أنا الحمول ما شاء يصنع

بيت (٤)

٢١ اكفف كم ذا العتاب عاتبتنى حجج
٢٢ ان الهوى لشرعى لى فى الهوى حجج

قفل (٤)

مقطـوعـة (٥)

٢٣ مـا يوسف بن هود الا كـيـوسـفـــا
٢٤ فى اليمن والسعـود والحسن والوفـا
٢٥ وكـم وكـم يجـود لو جاد قـد شفـا

بيت (٥)

٢٦ كـانـه الـسحـاب والـروض والأرج
٢٧ مـن شامـه يسمـع وأبصـر ابـتهـج

قفـل (٥)

مقطـوعـة (٦)

٢٨ ان الـرضى لغـال مـا للـرضى ثمن
٢٩ مـن سيـد المـوالى وخـيـر مـؤتمن
٣٠ تـزهى بـه المعـالى والملك والـزمن

بيت (٦)

٣١ للـرزق منـه بـاب مـن امـه ولـج
٣٢ او قـال ضاق ذرعى لـبـاه بـالفـرج

قفـل (٦)

مقطوعة (٧) «المقطوعة الأخيرة»

٣٣ لا انسى اذ تـغـنت هيفـاء فى السمـر
٣٤ بشـدوهـا وحنـت لـهـزة الـوتـر
٣٥ تشكـو لمـن تشكت من هجر من هجر :

بيت (٧) «البيت الأخير»

٣٦ يـا مـم ! تـنـت لاب ذا الـوعـد ، ذا الحجج
٣٧ دع ، هجر ـ مم ـ قطعى فـالـقطـع بـى سمـج

قفل (٧) «القفل الأخير»

ما فات موشح مكون من سبع مقطوعات كـل مقطوعة مكونة من قسمين بهذا التوالى : بيت ـــ› قفل ، ما عدا المقطوعة الاولى فهى مكونة من ثلاثة أقسام بهذا التوالى : قفل ـــ› بيت ـــ› قفل . وهذا يختص فقط بهذه المقطوعة دون غيرها . وفى الحقيقة القفل الذى تبدأ به لا ينتمى اليها ، وانما الى الموشحة كلهـا لأسباب متعلقة بأن الموشح يعد للغناء ، وأن أول الغناء يبدأ بكورس يردد هذا القفل ، ثم أنه يردده فى نهاية كل مقطوعة . بمعنى أنه لازمة متكررة أثناء الغناء فهو مضاف «بالقوة» لكـل مقطوعة فى هذا النص وفى كـل موشحة تبـدأ به ، ويضاف اليها «بالفعل» أثناء الغناء . وفيما يبدو أنهم لم يكتبوه مكررا فى بداية كل مقطوعة بعد المقطوعة الاولى للاختصار من ناحيـة ، ولأن الامر كان مفهومـا لهم من ناحيـة أخرى . ولعل الامر أكثر تعقيدا من ذلك كما سنوضح فيما بعد . ولذلك أطلقنا على هذا القفل الرقم (صفر) . وهكذا (القفل صفر) يطلقون عليه المطلع . وبالتفسير السابق ، فهو لا يعنى مطلع القصيدة فحسب بل هو مطلع كل مقطوعة .

وبالتـالى فالمقطوعة بشكل حاسم – بما فى ذلك المقطوعة الاولى – تتكون من بيت ثم يليه قفل . أما القفل صفر فهو ينتمى للموشح كله وهو لازمة تسبق البدء بغناء كل مقطوعة . ومن ثم فالمقطوعة كنص أدبى مكونة من قسمين (بيت ثم قفل) وهى نفسها عند اطلاق الصوت فى الغناء تصير ثلاثة أقسام هى : (القفـل صفر ثم بيت ثم قفل) . وبسبب ذلك يطلق على المطلع اسم منقال لأنه قنطرة تنقل المغنى من الصمت الى الغناء عندما يبدأ ، وهو أيضا ينقله من «نوبة غنائية الى أخرى» . ويرجع الفضل لمعرفة مصطلح المنقـال لابن قزمان فى مقطوعته الاخيرة من زجله رقم ١١٩ .

من تسع أبيـات هى ازجال ، لس فيـه طول
لسنـه ذا ممـا يعجـزنـى شيـئـا نـقـول
وكن تريـدك بويتـات عـاد لولا الفضـول
لـم قـط نقـل بيت ولا منقـال الا ارتجـال

فهو أقدم ظهور للمصطلح ، وقد ظهر أيضا فى ديوان ابن عربى ، وبالتـالى فـاستخدام لفظ المطلع فيمـا يبدو هو استخدام متـأخر استعير من القصيدة التقليدية ، حيث يطلق عادة على البيت الاول منها (١) .

واذا كنـا قد عرفنا الهيكـل العمودى للموشح وقسمى كـل مقطوعة من مقطوعاته أن لنا أن نعرف ، حقيقة البيت والقفل ونظام القوافى والأوزان وأشياء أخرى كثيرة وردت فى هذا التعريف منها على سبيل المثال الموشح التام والموشح الأقـرع .

---

(١) راجع : ديوان ابن قزمـان (تحقيق ف – كورينطى) ، المعهد الاسبانى العربى للثقـافة مدريد ١٩٨٠ ، ص ٧٧٨ ، كذلك راجع : ستيرن ، الموشح الاندلسى (ترجمة : عبد الحميد شيحة) ، مكتبة الآداب ، ١٩٩٠ ، ص ٣٠ – ٣٧ ، وهوامش المترجم هامة ، فهو محقق وباحث وله اضافات قيمة أثناء الترجمة .